

إدارة الوقت



﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاتَّبِعُوا بَيِّنَاتِهِمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَمًا وَاحِدَةً وَلَٰكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (المائدة / ٤٨).

الزمن عنصر أساس في إيجاد وإنجاز وتحقيق كل شيء فهو بالنسبة للوجود كالماء بالنسبة للحياة.. فكما أن الحياة لا تكون إلا بوجود الماء: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾.. كذلك وجود الأشياء والحوادث والأعمال، لا يمكن أن يكون إلا بوجود الزمن..

لذا كان الزمن عنصراً أساسياً، وضرورة لإيجاد الأشياء وتحقيقها.. ولذا كانت قيمته وأهميته بالغة في الحياة.. أهمية الماء بالنسبة لها.. فكما أن انعدام الماء يعني انعدام الحياة، فإن ضياع الوقت

وتضييعه وعدم الانتفاع به، يعني انعدام القدرة على إيجاد أي شيء أو إنجازه.. وبالتالي إعدام طاقة الانسان وإمكانيته وقدرته الفكرية والمادية والنفسية.. وتفويت الفرص والمناسبات، وهدر قيمة الأشياء إعدامها، والحيلولة دون ولادتها وتكوينها.

من هنا كان عنصر الزمن أغلى عنصر في حياة الانسان وأثمن شيء يملكه الناس في الحياة.. فليست الحياة بالنسبة للانسان إلا ما يترك فيها من أثر.. وإلا ما ينجزه ويحققه من فعل.. فهي حقله ومزرعته التي يزرع فيها جهده ونشاطه وطاقته وإمكاناته.. ويحصد ثمار جهده ونتيجة عمله..

وكم ينسى الانسان أهمية الزمن وقيمة العمر، وهو كل رأسماله الذي ينفق منه، ويتصرف فيه.. وهو رأسمال محدود.. ورصيد محدود، وكل لحظة زمنية تمّر من العمر تنقصه.. وتذهب منه، ولا يمكن تعويضها وإعادتها.. فهو كمسافة الطريق بالنسبة إلى المسافر.. فكل خطوة يخطوها تقطع جزءاً معيّناً من المسافة وتنقص الطريق لتقرب من النهاية.. لذا فالانسان الناضج الذي يملك حساً حياتياً، وإدراكاً سليماً، ومعرفة صحيحة لقيمة الحياة وأهمية الزمن، يحترم وجوده وحياته، ويحرص على كل لحظة ودقيقة وساعة من ساعات العمر.. فهي جزء من حياته، يعمل جاهداً على توظيفها، والاستفادة منها. لذا تضيع هدرًا فيضيع عمره وقدرته.. ثم ينظر إلى ما ضيّع وفرط بعين الحسرة والندم.. وبعد فوات الأوان وتجاوز الإمكان..

ويحكي لنا القرآن الكريم عن هذا الانسان المضيّع النادم، الذي أغفل طاعة الله ونسيه، وضيّع عمره في اللهو والعبث والضّياع والضلال والفراغ.. ولم يستفك من غفلته وغيبه وعيه إلا في ساعة الحسرة والندم.. فيتذكّر ضياع القوة والمال والجاه والامكانات، وعدم استثمارها في الخير وفي طاعة الله.. فيعضّ على يديه ندماً وحسرة، يشكو من الضّياع والخذلان وسوء العاقبة.. فيصفه القرآن الحكيم ويرسم مشهده المزري وصورته البائسة المكدورة، فيقول:

﴿وَيَوْمَ يَعْصِيُ الظَّالِمُ أَمْرًا عَلَيْهِ يَدْعِيهِ يَفْقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ يَا وَيْلَتَنِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (الفرقان / 27-29).

ويصور هذا الشخص المضيّع في منظر آخر، ملؤه الندم والتعاسة، فيسجّل:

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهُ * وَلَمْ أَدْر مَا حِسَابِيَهُ * يَا لَيْتَنِي هَذَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهُ * هَلَّاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهُ * خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ (الحاقة / 25-31).

وهكذا يصوّر القرآن هذا النموذج من الناس المضيّع الذي أفنى عمره في غفلة ولهو وعبث، وضيّع ماله وسلطانه وعمره، بعد أن خاطبه القرآن وأرشده في موقع آخر من بيانه وإيضاحه الطريق والمنهج السوي للتعامل مع الحياة، ورسم كيفية الاستفادة من طاقة الانسان وجهده في مجال الخير والبناء والهداية

والاصلاح.. ولكن ليدب لؤكؤم فيما آتاكؤم فاستدبفؤوا الخيؤرات، فيؤدؤ له الهدف والغاية والاختبار والابتلاء، ليكشف الانسان عن محتوى ذاته، ويفصح عن هويؤته وحقيقته الكامنة - خيؤرة كانت أو شرؤيرة - ويؤثؤه على السؤباق والتسابق من أجل الخير.. لا من أجل الصراع العاؤث، واستهلاك الطاقة في التنازع والتسابق في مجال الشرؤ والعداؤة والضلال والفساد.. فروح الآية ومضمونها حؤ على استثمار الزمن وتوظيف لحظات العمر، ومسابقة حركة الحياة، وعجلة المسير قبل فوات الأوان، وضياع الفرص.

لذا يشرح رسول الانسانية وترجمان القرآن الهادي محمد (ص) هذه الحقيقة، ويوضؤ معناها ومدلولها بقوله (ص):

«إؤتؤنؤم خمساً قبل خمس؛ شؤابؤك قبل هؤرمؤك، وصؤؤؤك قبل سؤقمؤك، وفراؤك قبل شؤؤؤؤك، وحياتؤك قبل مؤؤؤك، وغؤناؤك قبل فؤقؤك».

فالرسول يدعونا إلى اغتنام الفرص واستثمار:

طاقة الشؤاب قبل المشيؤ..

والصؤة قبل المرض..

والحياة قبل المؤؤ..

والفراؤ قبل الانشغال..

والغنى قبل الفقر..

فقد لا يفؤؤر الانسان صاحب المال والقوؤة والوقت ومؤنؤ هو في مرحلة الشؤاب بتلك القوؤة والفرص والحيوية التي يملكها ولا يقدر قيمتها وأهميتها.. فلا يدرك ولا يستفيد من قدرته على طلب العلم.. وقدرته على العبادة.. وقدرته على عمل الخير.. وقدرته على المشاركة في النشاطات الاجتماعية.. ولكنؤه يحسؤ بالحسرة والندم على تلك القدرة والحيوية عندما يفتقدها وهو في مرحلة الشيوخؤة عندما يشيؤ وتهرم طاقاته وقواه، وعندما يفقد إمكاناته وفرصه التي اؤتحت له، وعندما يصبح عاجزاً عن طلب العلم وعن العمل والمشاركة في مشاريع الخير وأعمال البرؤ والجهاد... إلؤ، فيظلؤ يتذكر أيام الشؤاب وحيويؤة الشؤاب وما تيسؤر له من قوؤة وإمكان.. نادماً على ما فرؤط فيها.. أسؤفاً عليها يوم كان بوسعه أن يعمل ويكسب ويؤؤؤر، ويطلب العلم، ويشارك في أعمال الخير، ويتزؤؤ من العبادة... إلؤ. فؤم من صاحب مالؤ ضيؤع ماله ولم يستخدمه، ولم يوطؤفه فيما يحقؤ خيره وصالحه، وؤم من صاحب قوؤة وصؤة ونشاط قد أهدر صؤؤته ونشاطه، وؤم من صاحب وقت وفراؤ قتل وقته وأؤرق الزمن كما تؤرق أؤداس القمامة، جاهلاً قيمة هذا العنصر الحيؤي في الحياة..

وظواهر التضييع وأسبابه كثيرة في حياة الناس.. فالؤي يدرس بدقؤة وعناية سبب مشكلة الانسان ومؤنؤته الأخلاقية والاقتصادية والتعبؤدية والاجتماعية، يجد أن التضييع والتفريط سبب أساس من أسباب التؤلف وؤلق المشكلة الحضارية الكؤبرى التي يعانى منها الانسان..

فالإنسان يعاني من حالات نفسية وسلوكية ثلاث:

الإسراف: وهو استعمال الأشياء والموجودات؛ كالماء والطعام والشراب واللباس... إلخ استعمالاً يتجاوز حدّ الحاجة والمصرف المعقول.

التبذير: عبارة عن إتلاف وتضييع ما هو موجود، من مال وأشياء نافعة لدى الإنسان.

التضييع: وهو إهمال الطاقات والفرص والإمكانات وتعطيلها وعدم الاستفادة منها... فالتضييع عمل سلبي وسلوك هدام يفرزه الجهل والوضع النفسي غير السوي.. العالم والمتعلّم والشخصية السويّة، حريصون على ما وهبهم الله من قدرات ومن صحّة وشباب ومال ووقت... إلخ، يتصرّفون بحكمة وواقعيّة، لا يفرّطون بشيء من هذه الطاقات، ولا يهدرون استثمارها..

لذا فإنّ الاسلام دين العمل والواقعيّة، كان حريصاً على توظيف طاقة الانسانية واستثمارها.. طاقاتها الطبيعية والبشرية التي فيها خيرها وسعادتها في الدنيا والآخرة.

فقد حبا الله الإنسان بطاقات الطبيعة الخيّرة المعطاء، من الأرض والخصب، والماء العذب المتدفّق، وثروات الحيوان والمعادن.. وطاقة الشمس... إلخ، ومنحه طاقات عظيمة، لو أنّّه تصرف بها وفق منهج إلهي سليم لأخصبت الأرض، وعمرت الحياة، وازدهرت الحضارة، وعاش الإنسان في طلال الأمن والسلام.

﴿وَلَوْ أَنَّنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم مَّ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَـكِنَّ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف/ ٩٦).

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ* يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة/ 15-16).

إنّ الاسلام لم يحثّ الإنسان وينمّي وعيه وحسّه من أجل توظيف الطاقات والامكانات وتحذيره من تعطيلها وحسب... بل وجعله مسؤولاً ومحاسباً عنها يوم القيامة، فهي أمانة وطاقات حمّل بها ورضي بحملها، وعليه أدائها وتوجيهها الوجهة الصحيحة التي أرشده خالقه إليها، وبيّن له كيفية استعمالها. فلا شيء في هذا الوجود يعرف العبث والضّياع.. وكلّ شيء خُلِقَ بقدر، ووُضِعَ موضعه، ليؤدّي دوره، ويحقّق غايته وجوده.. وما وضع بيد الإنسان وحمل مسؤولية توجيهه وتوظيفه، فأنه مسؤول عنه ومحاسب عليه، لذلك يأتي الحديث النبويّ الشريف ويشرح هذه الحقيقة العلمية للإنسان، ليوظ وعيه وحسّه الاجتماعي والعبادي ويفجّر في نفسه بنابيع الخير، ويُبْعِده عن التضييع والتفريط والتردّي في مهاوي الضّياع والفقر والمعصية..

قال رسول الله (ص): «لا تزول قدما العبد يوم القيامة حتّى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن

شبابه فيما أبلاه، وعن عمله كيفَ عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه» .
فالنصُّ النبويُّ الشريف يفيض بالقيَم والمعاني، ويفصح عن المنهج والدقَّة والتنظيم، ويضع الانسان أمام المسؤولية الكبرى يوم القيامة.

فالانسان مسؤول عن الزمن وأهميته في الحياة، وغير مسموح له بالتلافه وتضييعه في الثرثرة والفراغ والنوم والكسل والمجالس الفارغة المضيِّعة.

فكم من الساعات والأيام والسَّنين يضيِّعها الانسان في التسكُّع في المقاهي والأندية والطرفات ومجالس قتل الزمن وحرقه...

وقد لا يشعر الكثير من الناس بأهمية هذا العنصر، فتراه يضرب موعداً مع صديقه أو الزبون الذي اعتاد التعامل معه إن كان حرفياً أو صاحب عمل، ثم لا يعنيه أن يؤخِّر العمل، أو يخالف الموعد عدَّة أيَّام أو ساعات، ولا يُقدِّر أهمية الزمن، وخطورة تأخير الموعد، وتضييع الوقت.

وملايين الساعات مع الزمن تُحرق كلَّ يوم بنوم الكسالى الذين يدفنون الزمن الحيَّ في مقبرة الفراش، ويستهلكون الحيوية والنشاط في التملُّص والتثاؤب وفي الجلوس على الأرصفة والتجوال في الشوارع والتجمُّعات هنا وهناك بلا هدف ولا غاية بذلَّة.

لقد نظَّم خالق الوجود الحياة البشرية، وجعل اللَّيل للنَّوم والراحة... وثبَّت هذا المبدأ بقوله:
﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا* وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا* وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾
(النِّبَأُ / 9-11).

وجُعِلت الصلاة عند طلوع الفجر، لبدء الانسان يومه بالعبادة وذكر الله والتفكُّر في عظيم آياته، فيستجلي وجه الصباح.. ويستقبل يومه منذ بدايته بالجدِّ والعمل... ينهض مع نهوض الحياة.. ويستفيق مع خيوط النور الأولى.

ويحثُّ الحديث الشريف على النهوض المبكِّر واستقبال اليوم بالعمل وطلب الرِّزق والكسب الحلال، فقد ورد عن رسول الله ﷺ: «بُورِكَ لَأُمِّتِي في بكورها».. وورد في حديث آخر: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ»¹ .
العبدُ النواَّم الفارغ».. و«كثرة النَّوم مذهبُة للدِّين والدِّنيا» .

وهكذا توضح لنا المبادئ والقيَم الاسلامية كيفية استثمار العمر والاستفادة من الزمن وتنظيم الوقت والابتعاد عن الكسل والصُّجر واللَّهو، فالأُمَّة التي يسيطر الكسل والخمول ويضيِّع أبنائها طاقاتهم وقدراتهم الجسدية والفكرية والمادية، فهي أُمَّة متخلِّفة، تعيش في آخر الأُمم.. تعيش هزيلة تابعة لغيرها.. منصهرة في سواها.

فقد حذَّر الاسلام الأُمَّة الاسلامية أن تقع في هذه الهاوية، وطالبها بأن تكون أُمَّة فائدة رائدة في طريق العلم والعمل، وحمل لواء الدعوة إلى الاسلام وهداية البشرية لطريق الخير والسعادة.

إنَّ الفراغ والضياع قد يتحوَّل إلى مشكلة وأزمة حياتية، تعقِّد حياة الفرد والجماعة..

فقد يتحوَّل الفراغ إلى أزمة نفسية تنعكس آثارها السيِّئة على الشخص نفسه..

وقد يُسبَّب الفراغ إحداث مشاكل اجتماعية وأخلاقية.. فالإنسان الذي يملك طاقة ولا توجد لها مسرباً طبيعياً لتصريفها، أو مجالاً نافعاً لتوظيفها ووضعها في الموضع الطبيعي البنداء.. يتحوّل إلى إنسان هدام ووجود عاثر..

فالطاقة الانسانية هي كالطاقة المائية الهائلة التي إن أحسن استثمارها أخصبت الأرض.. وأنعشت الحياة.. وإن تُركت وأُهملت، تحوّلَت إلى سيل جارف وفيضان مدمر.. ولذا كان على الفرد أن يفكّر في التخلص من الفراغ والبطالة.. وعلى الآباء أن يوجّهوا أبناءهم للانتصار على هذه المشكلة ويربّونهم على حياة العمل والنشاط والعطاء والخير.. وعلى الحكومات والمؤسسات الاجتماعية أن تفتح آفاقاً رحبة، وأن تخطّط لتوظيف طاقات الفرد وهداياته وإصلاحه.

وقد تنبّهت قوى الاستكبار والاستعمار العالمي إلى هذه القضية الحيوية، قضية هدر طاقات الأمة وتضييع إمكانياتها، فكرّست العقول والخبرات لوضع الخطط وتصميم حياة الشعوب والأُمم المستضعفة وخصوصاً الشعوب الاسلامية التي خضعت للاستعمار بعد أن ترك المسلمون العمل بالاسلام، وغابت عنهم شمس الحضارة الاسلامية وفقدوا دولتهم وقوتهم، وأصبحوا خائعين عن طريق الحكّام العملاء لقوى الاستكبار، فوضعت المناهج التعليمية التي يستهلك فيها الطالب الشطر الحيوي من حياته دون أن يقدّر شيئاً حيوياً يذكّر لنفسه وأُمَّته، وصمّمت الصناعة والزراعة بشكل يستهلك طاقة الأمة وقواها دون أن يحقق الانتاج المطلوب أو المستوى الموازي للوقت والمال المصروف فيه، فتبرّره بالتدرّج والانتقال من الصناعات الخفيفة إلى الصناعات المتطورة.. وإشاعة وسائل اللهو والعبث والبطالة للإبقاء على تخلف الأمة وتأخرها المادي والمعنوي.. وخطّطت للصراعات والخلافات وهدر الطاقات واستهلاكها في الصّراع الداخلي، كالمصّراعات الطائفية والعنصرية وصراعات الحدود وخلق كيانات معادية.. كالعصابات الصهيونية في فلسطين وأمثالها.. وهكذا وضعت الخطط والأساليب الخبيثة لتضييع طاقة الأمة والإبقاء على تخلفها.

فالإلى المزيد من الوعي والنّصح الفكري الحضاري أيّها المسلمون.. إلى العلم والعمل.. إلى الجدّ والنشاط، إلى استثمار الزمن وتوظيف طاقات الأمة وحمل لواء الهدى والرّشاد.. فلنستثمر الزمن ولنحسن توظيف طاقات الأمة والأفراد.. فعلى الذي يجد ساعات من الفراغ، أن يستغلّها بالتربية والتثقيف الذاتي وبالعبادة بأبنائه وأسرته، وبالتأمّل في ملكوت السماوات والأرض.. وبتلاوة كتاب الله وبالدّكر والتسبيح والاستغفار.. وبتعلّم مهنة أو حرفة نافعة أو لغة جديدة، لنستثمر الوقت، ولنوظّف كلّ دقيقة من دقائقه، ولنملأ الحياة بالحيوية والنشاط..

فقد خلّق الإنسان ليعمّر الأرض ويمارس دور الخلافة فيها.. ويوظّف طاقات الطبيعة لصالح البشرية. ﴿وَلِلَّهِ ثَمُودٌ أَخَاهُمُ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ

تُؤْبُوا إِلَيْهِ إِنْ رَّبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (هود / ٦١).